

## دروس في النقد العربي المعاصر

الأستاذة: مريم زنور

### الدرس الأول : الموضوعاتية في النقد العربي

الكفاءات المستهدفة :

- 1- أن يتعرف الطالب على الاتجاهات العامة للنقد البنيوي .
- 2- أن يكتشف الطالب أهم آليات المقاربة البنيوية .
- 3- أن يتعرف الطالب على إسهامات النقد العربي في هذا الاتجاه .
- 4- أن يستخلص الطالب أهم الآراء النقدية التي وجهت لها الاتجاهات .

#### 1- مفاهيم عامة :

يعد من الصعوبة في واقع الأمر التسليم باتجاه بنيوي موضوعاتي نظرا للغموض الاصطلاحي والمنهجي الذي يعرفه هذا الاتجاه لاسيما على صعيد النقد العربي، غير أن العمل الرائد الذي قدمه الناقد عبد الكريم حسن في كتابه الموضوعية البنيوية يجعلنا نلفت إلى هذا التوجه في محاولة لتقصي ملامح هذا الاتجاه وأهم ما جاء به من المبادئ والآليات الإجرائية في سعيه إلى كشف أدبية النص ومكامن الجمالية فيه. فلا يمكن عدّ الموضوعاتية thématique تصورا بنيويا بحث وذلك لأنه منهج بلاهوية، فهو ميدان نقدي هلامي تتداخل فيه مختلف الرؤى الفلسفية والمناهج النقدية.

#### 2- الموضوع والموضوعاتية : (thématique/thème)

##### 1-2 الدلالة اللغوية :

يشق مصطلح " الموضوعاتي" (thématique) في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة (thème) ، وهي

"التيمة"، وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة كالموضوع، والغرض، والمحور، والفكرة الأساسية، والعنوان، والحافز، والبؤرة، والمركز، والنواة الدالية... الخ.

ويقابل كلمة (thème) عند اللسانيين الوظيفيين الجدد مصطلح التعليق (Rhème)؛ لأن التعليق عبارة عن موضوعات جديدة أو أخبار تسند إلى المسند إليه أو تضاف إلى الفكرة الرئيسية المحورية أو النواة البؤرية.

ولقد استعمل المصطلح "الموضوعاتي" أو "التمي" بشكل انطباعي وعفوي من قبل جان بول ويبر (Jean Paul Weber)، إذ أطلقه على الصورة المتفردة والملحة في تكرارها واطرادها والمتواجدة بشكل مهيمن في عمل أدبي عند كاتب معين.

ومن الصعوبة بمكان، تحديد المفهوم اللغوي للنقد الموضوعاتي بكل دقة ونجاعة نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية. ومن ثم، فليس هناك ما هو أكثر إبهاما من الموضوعاتي، حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة في استقصاء لدلالاتها وقراباتها الضمنية والخفية، واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال.

هذا، وقد أثار المصطلح الأجنبي للموضوعاتية (thème/thématique/thématiser) تذبذبا في الترجمة رافقه تعدد المصطلحات المقابلة له في الحقل الثقافي العربي، فنجد الموضوعاتي، والموضوعاتية، والموضوعية، والموضوعاتيات عند كل من سعيد علوش، وحميد لحمداني، وعبد الكريم حسن، وجوزيف شريم، وكيثي سالم، وعبد الفتاح كيليطو.

كما نجد كلمتي "التميم" "thème" و "التميماتية" عند سعيد يقطين عندما يقول: "إن التيمة" (thème) كما يرى برنار دوبري (B. Dupriez) هي الفكرة المتواترة في العمل الأدبي، وتستعمل أحيانا بمعنى الحافر الكثير التواتر. غير أن "التيمة" أكثر عمومية وتجريدا...".

ويتابع سعيد يقطين واصفا الخطاب الروائي المغربي الجديد على ضوء رؤية تيمماتية قائلا: "وفي العالم الروائي الذي بين أيدينا نجد "تيمات"

أساسية كثيرة لها دلالاتها البعيدة لمن يريد قراءة الرواية قراءة "تيمية" (thématique) .

ويترجم إبراهيم الخطيب كلمة (thème) بغرض أثناء ترجمته لنظرية الأغراض لدى توماشفسكي (Tomachevsky) الذي يتحدث عن اختيار الغرض أو "التيمة" الموضوعاتية التي يتمحور حولها العمل الفني بصفة خاصة ، إذ يبين هذا الشكلاني الروس بأن "خلال السيرورة الفنية، تتمازج الجمل المفردة فيما بينها، حسب معانيها، محققة بذلك بناء محددًا، تتواجد فيه متحدة بواسطة فكرة أو غرض مشترك. إن دلالات العناصر المفردة للعمل - يقول الباحث الروسي - تشكل وحدة هي الغرض (الذي نتحدث عنه). وإنه من الممكن أن نتحدث سواء عن الغرض العام للعمل أم عن أغراض أجزائه. ما من عمل قد كتب في لغة لها معنى إلا ويتوفر على غرض. أما العمل غير العقلي (Transrationnelle) فلا غرض له، نظرا لأنه ليس سوى تدريب تجريبي أو تدريب مختبري بالنسبة لبعض المدارس الشعرية".

ويتميز العمل الأدبي حسب توماشفسكي " بوحدة، عندما يكون قد بني انطلاقا من غرض وحيد، ينكشف خلال العمل كله. نتيجة لذلك، تنتظم السيرورة الأدبية حول لحظتين هامتين: اختيار الغرض وصياغته (Elaboration)".

يبدو أن الغرض أو "التيمة" من خلال هذا النص هو ذلك البناء الموحد لجمل النص المتشابكة تركيبيا وداليا بواسطة فكرة مهيمنة معنويا. وبالتالي، تتمثل الوظيفة البنائية للتيمة في توحيد جمل النص المفردة وتغريض الإبداع. وكل نص يتوفر على موضوعة معينة أو غرض ما فهو نص مقبول عقليا. وبالتالي، تنطبق عليه عمليا صفة المقبولية ومشروعية قراءته ونقده، وأما النص الذي يخلو من وجود غرض معين فهو نص مختل عقليا وناقص دلاليا لايمكن اعتباره نصا إبداعيا أو أدبيا.

ويعتبر اختيار الموضوع أو "التيمة" أول عمل إجرائي يقوم به المبدع حسب منطوق القولة

الاستشهادية، وتأتي ، بعد هذه المرحلة، الصياغة وبناء دلالات النص وعنوانته.

ومن جهة أخرى، نجد من الدارسين والنقاد والباحثين والمترجمين العرب من يسمي النقد الموضوعاتي نقداً "مدارياً" كما عند سامي سويدان أو "جذرياً" عند فؤاد أبو منصور.

ومن ثم، يترجم الباحث اللبناني فؤاد أبو منصور كلمة Thématique الفرنسية بكلمة "الجذر" ؛ لأن الجذر الدلالي بمثابة خلية النص الرحمية، ويتشكل شكلاً ومضموناً، بناءً ومعنى، وإن كان يتأطر فكرياً، ويوحد النسيج النصي، ويجمع شتات المبعثر على رقعة النص في شكل بؤرة عنوانية في أعلى الصفحة الإبداعية. والجذر ما هو في الحقيقة إلا عنونة دالة، تتم به التسمية، وبه يفرض النص على المتلقي فكرياً وإيديولوجياً، فتتولد الرؤى والأفكار، ثم تتشابك التعابير والأساليب الجمالية الرفيعة، "إن الجذر يتفرع ويتوالد ضمن أشكال وتعابير متعددة. هذا التوالد يشبه "التجويق الموسيقي والأوركستراي" حيث الميلوديا الرئيسية، هي حصيلة نقرات منفردة ومتعددة تتآلف وتتواكب لتعطي إيقاعاً أوركسترايلاً واحداً. والنص في لعبته اللغوية والأسلوبية والفكرية حصيلة توالدات على مستوى مقومات الكتابة الأولية".

وثمة مجموعة من الفوارق اللغوية بين الجذر والفكرة الرئيسية؛ لأن هذه الأخيرة ترتبط بالأثر الأدبي، وهي عنصر لغوي تفرض نفسها بإلحاح وتكرار فيه، وهي متصلة بمعجم اللغة ومفرداتها اصطلاحاً واشتقاقاً ولغة.

أما الجذر "فإنه يختلف عن الفكرة الرئيسية ومجموعة التماعاتها ورموزها وجزئياتها".

فإذا " كانت الحشرة فكرة رئيسية عند لوركا (Lorca). ويمكن للناقد أن يحدد النصوص التي تتضمن هذه الفكرة ويرسم حدود مضمونها ودلالاتها. فإن الجذر عبارة عن التنويعات الضمنية لها مثل الحرير "الشرنقة" "الطبيعة" ، ولا ينبغي للناقد الموضوعاتي أو الجذري أن ينسى الدوال

اللغوية أو الإيقاعية وحمولاتها الدلالية في تشكيل "الموضوعة" أو "تيمة" الأثر الأدبي. فعليه، استقراء أبعاد "اللعبة اللغوية بتنوعاتها وإيقاعاتها؛ لأنها محملة بمدلولات باطنية، وهي تفضح أحيانا، هوة ما، تصرخ في أعماق الكاتب".]

وهكذا نسجل مدى الاختلاف الكبير بين الدارسين والمترجمين العرب في توظيف المصطلحات والمفاهيم اللغوية لتعريب الكلمة الأجنبية "thématique"، بالإضافة إلى اضطراب مفهوم الموضوعاتية وتعدد مفاهيمها وتعريفها حسب النقاد ومطربي هذا المنهج.

## 2-2- الدلالة الاصطلاحية:

تنبني المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتمظهر في النص أو العمل الأدبي عبر النسق البنيوي وشبكاته التعبيرية تمطيها وتوسيعا أو اختصارا وتكثيفا، والبحث أيضا عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقا وانسجاما وتنظيما.

ولا يمكن للمقاربة الموضوعاتية أن تبرز الفكرة المهيمنة والتيمة المحورية إلا بعد الانطلاق من القراءة الصغرى نحو القراءة الكبرى، وتعرف الجنس الأدبي وحيثياته المناسية والمرجعية، وتفكيك النص إلى حقول معجمية وجداول دلالية إحصائية لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص أو العمل الإبداعي اطرادا وتواترا.

وترصد المقاربة الموضوعاتية كل الكلمات- المفاتيح والصور الملحة والعلامات اللغوية البارزة والرموز الموحية و قراءتها إحصائيا وتأويليا.

ولن تكون القراءة الموضوعاتية ناجعة وسليمة إلا بقراءة السياق النصي والذهني للكلمات والمفردات المعجمية المتكررة. ويمكن التسلح في هذا السياق القرائي بمجموعة من الآليات المنهجية كالتشاكل والتوازي والتعادل والترادف والتطابق والتقابل والتكرار والتواتر لتحديد البنيات الدالة المهيمنة والمتكررة في النص.

ويقوم هذا النقد الموضوعاتي على تحويل ما هو روحاني وزئبقي وجواني وشاعري إلى وحدة دلالية حسية مبنية موضوعيا وعضويا .

ويستلزم النقد الموضوعاتي قراءة نص واحد أو مجموعة من النصوص والأعمال الإبداعية التي كتبها الأديب المبدع، والبحث عن بنياتها الداخلية ومرتكزها البنيوي المهيمن، وجمع كل الاستنتاجات في بوتقة تركيبية متجانسة ومتضامة، واستقراء اللاشعور النصي عند المبدع، وربط صورة اللاوعي بصورة المبدع على المستوى البيوغرافي والشخصي.

وعليه، فالمقاربة الموضوعاتية هي التي تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا سواء في الشعر أم في النثر. وتهدف هذه المقاربة أيضا إلى استخلاص البؤرة المعنوية والخلية العنوانية والجذر الجوهري والفعل المولد والنواة الأساسية التي يتمحور حولها النص إسنادا وتكملة عبر عمليات نحوية إبداعية كالحذف والزيادة والتحويل والاستبدال.

ومن الصعوبة بمكان، تحديد مفهوم النقد الموضوعاتي بكل دقة ونجاعة نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية، وتذبذب مفاهيمه من دارس إلى آخر، وكثرة آلياته الاصطلاحية وأدواته الإجرائية بسبب تعدد المناهج التي تحويها المقاربة الموضوعاتية.

ويعني هذا أن المقاربة الموضوعاتية تطرح عدة أسئلة وصعوبات وإشكاليات وعوائق مفاهيمية ومنهجية وتطبيقية، وتختلط بالنقد المضموني كما تلتبس بالمناهج النقدية والفلسفية الأخرى.

### 3- الموضوعاتية في النقد الغربي: (جذور

#### (الموضوعاتية)

نشأ التيار الموضوعاتي في أحضان الفلسفة الظواهرية، وتغذى على أفكار الفيلسوف الفرنسي

غاستور باشلار ونما وتطور ابتداءً من ستينات القرن العشرين وفي بيئة فرنسية أساساً حملت لواءه جماعة سمت نفسها مدرسة جنيف آمنت بأن النص الأدبي عالم تخيلي مستقل عن الواقع المعيش تجسد وعي النَّاص . وعليه فالنقد الموضوعاتي على النقد المعاصر بفرنسا إلا في الستينيات من القرن العشرين في الفترة التي كانت تسيطر فيها مجموعة من المناهج على النقد الجديد كالشعرية الفلسفية مع باستون باشلار (Bachelard)، والنقد الفينومينولوجي لمدرسة جونيف المتحلقة حول بولي (Poulet)، والنقد السيكلوجي مع شارل مورون (Charles Mouron)، والنقد السوسولوجي مع لوسيان كولدمان (Lucien Goldman)، بيد أن هذه المناهج النقدية سرعان ما تجاوزتها الشكلانية والسيمائيات وجمالية التلقي بسرعة.

وعلى العموم، فقد نشأ النقد الموضوعاتي في فرنسا أساساً، إلا أن له بعض الملامح في النقد الألماني و نقد أمريكا الشمالية الذي يمثله كل من : جوزيف هيليس ميلر، وبول بروتكورب، وفرديماك أيوين. وعلى العموم، فقد ظهر النقد الموضوعاتي في أحضان الصراع النقدي الذي شهدته الجامعة الفرنسية بين الاتجاه النقدي اللانصوني الأكاديمي الذي ينافح عنه ريمون بيكار والنقد الجديد الذي يمثله رولان بارت. ومن المعروف لدى الجميع أن النقد اللانصوني يعتمد على القراءة الوضعية والتحليل البيوغرافي للنص الإبداعي والبحث عن المبدع وفلسفته ورؤيته الوجودية مع ربط النص اللغوي بالفضاء الزمكاني الذي يحيط بالأديب.

ويعتبر ريمون بيكار (R. Picard) من المدافعين عن هذا النقد القديم، فقد دخل في سجال نقدي طويل مع رولان بارت (Roland Barthes). ثم ، شن حرباً كلامية وجدالية باسم "الإدعاء الجديد" (La nouvelle imposture)، بيد أن بارت سيرد عليه في كتابه "النقد الجديد" مدافعاً عن النقد الحدائثي من خلال التركيز على السمات الإيجابية لهذا الخطاب الوصفي المعاصر و الإشادة بمرتكزاته النظرية والتطبيقية. ومن هنا، أصبح في فرنسا تيار نقدي حديث منفتح سمي بـ "النقد الجديد"، وهو نقد تأويلي متعدد

الإيديولوجيات ومتشعب من حيث المسلمات والمصادر المرجعية ، ينطلق من الوجودية والماركسية والظاهراتية والسيكولوجية .

ويضم هذا النقد الجديد في طياته مناهج متعددة ، ويحضن تصورات فلسفية متنوعة ، ولا يجمعها سوى التأويل والإيديولوجيا ؛ وهذا ما دفع بارت إلى جمعها في سياق واحد تحت اسم (النقد التأويلي) في مقابل (النقد الجامعي) الذي يعتمد على التبسيط والتوضيح والتقنين المعياري الدوغماتي المبالغ فيه .

#### 4- **أقطاب الموضوعاتية في النقد الغربي: نشط**

في هذا المجال عدد من النقاد نذكر منهم :

-جون بول ويبر

-جون بيار ريشار

-جورج بولي

-جون روسي

-رومان إنجاردان

-جان ستاروبنسكي

#### 5- **الموضوعاتية وإشكالية المصطلح: أخفق النقد**

العربيّ في وضع مصطلح موحد ليقابل المصطلح الأجنبيّ (**thématique/thème**) وهو ما صعب عليه الولوج المنظم إلى أعماق هذا التصور النقدي حيث ترجم المصطلح إلى نحو ثلاث عشرة مقابلا:

- التيماتية

- التيمية

- التيماتيكية

- الغرضية

- الأغراضية

- الجذرية

- المضمونية

- الموضوعية



-المنهج الموضوعي

-الموضوعاتية

-المواضيعية

-نظرية الموضوعات

## 6- مفهوم المقاربة الموضوعاتية

تبنى المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتجلى في النص أو العمل الأدبي، عبر النسق البنيوي وشبكاته التعبيرية تمطيًا وتوسيعًا، أو اختصارًا وتكثيفًا، والبحث أيضًا عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقًا وانسجامًا وتنظيمًا. ولا يمكن للمقاربة الموضوعاتية أن تبرز الفكرة المهيمنة أو التيمة المحورية إلا بعد الانطلاق من القراءة الصغرى نحو القراءة الكبرى، والتعرف إلى الجنس الأدبي، ورصد حيثياته المناسية والمرجعية، وتفكيك النص إلى حقول معجمية، وجداول دلالية إحصائية لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص أو العمل الإبداعي اطرادًا وتواترًا.

هذا، وترصد المقاربة الموضوعاتية كل الكلمات-المفاتيح، والصور الملحة، والعلامات اللغوية البارزة، والرموز الموحية، وقراءتها إحصائيًا وتأويليًا. ولن تكون القراءة الموضوعاتية ناجعة وسليمة إلا بقراءة السياق النصي والذهني للكلمات، واستكشاف المفردات المعجمية المتكررة. ويمكن التسلح، في هذا السياق القرائي، بمجموعة من الآليات المنهجية، كالتشاكل، والتوازي، والتعادل، والترادف، والتطابق، والتقابل، والتكرار، والتواتر، لتحديد البنيات الدالة المهيمنة والمتكررة في النص. ويقوم هذا النقد الموضوعاتي أيضًا على تحويل ما هو روحاني وزئبقي وجواني وشاعري إلى وحدة دلالية حسية مبنية موضوعيًا وعضويًا.

ومن جهة أخرى، يستلزم النقد الموضوعاتي قراءة نص واحد أو مجموعة من النصوص والأعمال الإبداعية التي كتبها الأديب المبدع، والبحث عن بنياتها الداخلية، واستكناه مرتكزها البنيوي المهيمن، وجمع كل الاستنتاجات في بوتقة تركيبية متجانسة ومتضامة، واستقراء اللاشعور النصي عند المبدع، وربط صورة اللاوعي بصورة المبدع على المستوى البيوغرافي والشخصي.

وعليه، فالمقاربة الموضوعاتية هي التي تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا، سواء أكان ذلك في الشعر أم في النثر. وتهدف هذه المقاربة كذلك إلى استخلاص البؤرة المعنوية، واستجلاء الخلية العنوانية، وتحديد الجذر الجوهري، ورصد الفعل المولد، واستخراج النواة الأساسية التي يتمحور حولها النص إسنادا وتكملة، عبر عمليات نحوية إبداعية، كالحذف، والزيادة، والتحويل، والاستبدال. ومن الصعوبة بمكان، تحديد مفهوم النقد الموضوعاتي بكل دقة ونجاعة نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية، وتذبذب مفاهيمه من دارس إلى آخر، وكثرة آلياته الاصطلاحية وأدواته الإجرائية بسبب تعدد المناهج التي تحويها المقاربة الموضوعاتية. ويعني هذا أن المقاربة الموضوعاتية تطرح عدة أسئلة، وتفرز عدة صعوبات وإشكاليات وعوائق مفاهيمية ومنهجية وتطبيقية، وتختلط بالنقد المضموني، كما تلتبس بالمناهج النقدية والفلسفية الأخرى.

## 7- أنواع المقاربة الموضوعاتية:

يمكن الحديث عن أنواع عدة من المقاربات الموضوعاتية، فهناك الموضوعاتية الدلالية، والموضوعاتية العنوانية، والموضوعاتية الشاعرية، والموضوعاتية الصوفية الحدسية، والموضوعاتية الفلسفية، والموضوعاتية البنيوية، والموضوعاتية الذاتية، والموضوعاتية البنيوية. وعلى العموم،

وأحدث عن موضوعاتية بنيوية شكلية (Thématique Structurale).

بيد أن ثمة عدة صعوبات واجهت الموضوعية أثناء احتكاكها مع المنهجية البنيوية ذات الطرح اللساني الوصفي، ويمكن حصر هذه المشاكل في النقط التالية:  
⊕ إن البنيوية تدرس نسقيا ما هو ضمني وعميق.  
⊗ إنها تستخلص البنيات الجزئية والبنيات الكبرى فقط.

⊘ ترفض البنيوية بواعث العمل الأدبي ومصادره. أي: إن العمل الأدبي بنية مستقلة غير مرتبطة بالمبدع، ولا بظروفه السوسيو اقتصادية أو الثقافية أو التاريخية.

⊙ إنها تبتعد عن التفسير والتأويل، وتستند إلى التحليل الداخلي المحايث والسانكروني للعمل الأدبي وصفا وتصنيفا.

من خلال هذه السمات المخصصة للبنيوية باعتبارها منهجا وحركة ونشاطا فكريا، يمكن تفريع الموضوعاتية إلى موضوعاتية ذاتية وموضوعاتية موضوعية، فالثانية هي الأكثر انسجاما مع البنيوية، ما دامت تنظر إلى العمل الأدبي على أنه "موضوع (Objet)"، بينما الأولى تنظر إليه على أنه ذات (Sujet) ويمثل الاتجاه الأول جورج بوليه، وهو من النقاد الموضوعاتيين الذاتيين، ويرى أن هدف النقد هو "الوصول إلى معرفة صميمية بالعمل المنقود، وأنه لا يمكن بلوغ هذه الصميمية إلا داخل الفكر الناقد محل الفكر المنقود". ويسمى هذا النوع من النقد لدى بوليه بالنقد "التطابقي" الذي يتطابق فيه وعي الناقد مع وعي المنقود. لكن هذا الموقف يتعارض مع الموقف البنيوي؛ لأن البنى تحدد إجراءات داخل العمل الأدبي، وإنها لا تعاش خارجه، وإنما تقع البنى تحت ترسبات الظاهر، وتحلل في أغواره العميقة. لذا، لابد من استنباط المرتكز البنيوي العميق أو المستوى المحدد الثابت، لأنه هو الذي يتحكم في الظاهر المتغير، عبر الإبدال، والحذف، والتحويل، والزيادة، والنقصان.

ومن هنا، فالموضوعاتية الموضوعية سمة خاصة بنقد ستاروبنسكي في دراسته البنيوية المعنونة بـ (وليمة تورينو)، ونقد سارتر - كما لاحظ ذلك ماجليولا

بصدد تعليقه على دراسة سارتر لرواية جون دوس باسوس- فقال: "يورد لنا جان بول سارتر في قسم ظاهري من مقالته المسماة " بشأن جون دوس باسوس" مثالا ممتعا، فهو يناقش الدلالة المعنوية او التيماتية للزمن عند دوس باسوس، ثم يدور حول بعض الملامح المورفولوجية أو الصرفية التي يراها معبرة عن هذا المعنى... ويتفق تناول سارتر للتضاييف الصرفي السيمانطريقي الخاص بالدلالات هنا مع المباشرة الظاهرية، وهكذا، توفر لنا فرصة رائعة لمقارنتها - أي دراسة سارتر- بالتناول البنيوي الأوربي ممثلا في رومان جاكبسون وكلود ليفي شتروس". ولا ننسى كذلك الناقد تزتيفان تودوروف في كتابه (مدخل إلى الأدب العجائبي) الذي طبق فيه المنهج البنيوي على موضوعة العجيب والغريب في القصص الفانطازية الغربية.

أضف إلى ذلك، إذا كانت البنيوية ترفض كل نقد تفسيري أو نفسي، فإن مأزق الموضوعاتية يتمثل في استعانتها بالتحليل النفسي أثناء دراستها لموضوع الرغبة، واستعارتها لمفاهيمها السيكلوجية كالكبت، واللاوعي، والهوام... إلخ، ويتعارض هذا كله مع المنهج البنيوي الذي يرفض كل تفسير خارجي للعمل الأدبي. ومن ثم، فالموضوعاتية نقد نفسي فردي، يهتم بنفسية المبدع/الفرد، دون الاهتمام بالوسط الجماهيري أو المتلقي أو العصر.

وهكذا، فإن ما يضع النقد الموضوعي أمام المآزق المنهجية الكبرى، هي " صعوبة التمييز بين نصيب المبدع من إبداعه، ونصيب العصر الذي يحتويه. فلقد جرت العادة مثلا أن يدرس الناقد الموضوعي موضوعا معيناً أو جملة من الموضوعات عند شاعر أو روائي... إلخ. ولكن هذا النقد لا يمكن أن يكتمل إلا إذا عرفنا منزلة هذه الموضوعات من الأدب الذي تنتمي إليه، والعصر الذي يحتويها. فمن الذي يستطيع أن يقدم الدليل مثلا على أن الموضوعات التي يدرسها الناقد عند شاعر معين ليست هي الموضوعات ذاتها عند شاعر آخر؟ ومن الذي يضمن لنا أن هذه الموضوعات الملهمه في الشعر مثلا ليست هي الموضوعات السائدة في تفكير المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر، أو في ذائقة هذا المجتمع خلال مرحلة

معينة؟ إذا، فأين تكمن الخصوصية في دراسة هذه الموضوعات عند شاعر ما، إذا لم توضع ضمن خريطة الموضوعات في الأدب الذي تنتمي إليه والعصر الذي يحتويها؟ .

ويمكن الفصل، في إطار الموضوعية البنيوية، بين الموضوعية المعجمية التي تنطلق في تعريفها للموضوع من قاعدته اللغوية، كما هي لدى العراقي عبد الكريم حسن، والموضوعية الأدبية لدى الناقد الفرنسي بيير ريشارد. (Richard)

هذا، وتعتمد الموضوعاتية البنيوية على مبادئ البنيوية المعروفة، كالمحاثة الداخلية، والوصف السانكروني، والاعتماد على التفكيك والتركيب، وهذا كله بمثابة مبادئ منهجية عامة، والاستعانة بالإحصاء والعد والتوارد اللفظي والمعجمي والتكرار اللغوي، والتركيز على مفهوم الموضوع، باعتبار هذه الآليات مبادئ منهجية خاصة.

وإذا كان جان بيير ريشارد (Richard) يرى أن الموضوع " مبدأ تنظيمي محسوس" ، فإن عبد الكريم حسن يقول: "إن العائلة اللغوية هي حد الموضوع". ولا ننسى أيضا أن هذه الموضوعاتية تنطلق من مداخل حرة، وتصل إلى مخارج حرة كذلك. ويعني هذا أن الناقد الموضوعي يقتحم العمل الأدبي وفضاءه التخيلي من أي نافذة شاء، ولو كانت ضيقة. وتعتبر هذه الحرية سحرا مثيرا، وميزة إيجابية لهذا النقد الزئبقي الذي يستهين بالضوابط الأكاديمية الدوغماتية المقننة. حتى إن شبكة العلاقات غير مستقرة ولا ثابتة نهائيا عند ريشارد (Richard)، بل هي متغيرة. على عكس الموضوعاتية البنيوية التي تلتزم بالضوابط المعيارية، والتقنين المنهجي، وثبات العلاقات في نسق بنيوي سانكروني. وإذا كانت الموضوعاتية تعتمد على تصنيف الربط بين عناصر العمل الأدبي، فإن تصنيف الموضوعاتية البنيوية تصنيف توليد، يعتمد على الفعل المحرك ( Le verbe moteur ) والقاعدة اللغوية. فالفرق بين موضوعاتية ريشارد (Richard) وموضوعية عبد الكريم حسن، أن موضوعاتية الأول مضمونية. أي: حديث عن الأفكار والموضوعات في الأدب، بينما موضوعاتية الثاني هي الانتقال من المضامين المختلفة إلى الأشكال

الثابتة. أي: ثمة مصالحة بين البنية والتاريخ، بين التزامن والتزامن، والوصف والتطور.  
**مصادر المقاربة الموضوعاتية:**

تستند المقاربة الموضوعاتية إلى خلفية فلسفية وابتسولوجية تتمثل في ظاهراتية إدموند هوسرل (1859 - 1938)، ومجهود الفلاسفة الظاهريين الوجوديين، أمثال: هيدجر، وجان بول سارتر (Sartre)، وژاستون باشلار (Bachelard) ومن المعلوم أن الظاهراتية، وخصوصا فلسفة هوسرل، جاءت رد فعل على النزعتين: المثالية والتجريبية معا (فلسفة الذات والموضوع)، "والفكرة الأساسية التي يمكن استخلاصها من البعد الفلسفي للنقد الظاهري الموضوعاتي، سواء كان محايثا أم ميتافيزيقيا، هي اعتبار الإبداع عملا يمثل وعي المبدع، وهذا لا يعني نفي الظاهرية للعمليات اللاواعية التي تجري أثناء تنظيم المدركات في الوعي، وهذه مفارقة ينبغي التنبيه إليها؛ لأنها هي التي تفسر كيف أن النقاد الظاهريين/الموضوعاتيين لجأوا أحيانا إلى التحليل النفسي، أو إلى أحلام اليقظة البدائية العميقة المترسبة في الذات المبدعة وهذا ما فعله " باشلار" (Bachelard). (...).

وإذا نحن تأملنا تطبيقات المنهج الموضوعاتي/الظاهري، فنجد طغيان الاهتمام بالأفكار باعتبارها مظاهر للوعي عند الكتاب المدروسين، وقد يستفيد النقاد من علم النفس الظاهري، كما فعل جان بيير ريشار "Richard" بشكل خاص."

ومن هنا، فإن للمقاربة الموضوعاتية أسسا فلسفية تتمثل في الفلسفة الظاهراتية، والفلسفة الوجودية، والفلسفة التأويلية الهرمونيوتيكية، وأساسا إبتسولوجية تتجلى في انفتاح المقاربة على علم النفس، وعلم المعجميات، وعلم اللسان، والسيميائيات، والنقد الأدبي، وعلم الجمال، وشعرية التخيل...

## 8- الموضوعاتية في النقد العربي:

### 8-1 عند عبد الكريم حسن:

يعدّ العمل الرائد الذي قدّمه عبد الكريم حسن في كتابه "المنهج الملوضوعي دراسة في شعر السياب"

أهم ما قدّم في النقد العربي في هذا الاتجاه، وقد أكد الكاتب على أنّ الموضوعاتية هي تصور بنيوي بامتياز وذلك راجع لاستجابته للتصورات البنيوية وأهمها مبدأ المحايثة .

وقد انطلق عبد الكريم حسن في دراسته هذه من محاولة اكتشاف شبكة العلاقات الموضوعية تنتظم داخلها وتتمفصل الموضوعات المختلفة وليس مجرد دراسة لموضوعات منتقاة أو مبعثرة .

إنّ أول ما حاول عبد الكريم حسن توضيحه هو مفهوم الموضوع والذي عرفه بأنّه :

"مجموعة من المفردات التي تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة"

وتحدد العائلة اللغوية بالاستناد إلى ثلاثة مبادئ: الاشتقاق - الترادف - القرابة المعنوية .

فالعائلة اللغوية تجمع في داخلها المفردات ذات الجذر اللغوي الواحد، المترادفات، والمفردات التي تربط بينها صلة معنوية أضعف من صلة الترادف، والعائلة اللغوية والتي يتفاوت عدد عناصرها من مرحلة إلى أخرى هي الوجه الدال للموضوع .

ويستند مفهوم العائلة اللغوية على الإجراء الإحصائي في مستوى معجم النّص وخاصة عند إبراز الموضوع الرئيس ثم الموضوعات الفرعية وفروع الموضوعات الفرعية، والموضوع الرئيس هو الموضوع الذي تفوق عدد مفرداته سائر الموضوعات الأخرى، ليصل الناقد إلى تشجير الموضوعات بصياغة شبكة العلاقات الموضوعاتية وهي شبكة أشبه ما تكون بالشجرة التي يمثل الموضوع الرئيس جذعها، وتمثل الموضوعات الفرعية غصونها، وقد يتولد عن هذه الغصون فروع أصغر كما قد تبقى بلا فروع .

ينتقد حميد الحميداني في كتابه "سحر الموضوع" منهج عبد الكريم حسن بدعوى أنّه يغيب شعرية النص وخصوصياته الأدبية وسقط في الإحصاء .

يقترح فايز الداية في كتابه "علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق" من خلال مصطلح الدائرة الدلالية، فقد خصص الفصل الأخير من كتابه السابق لدراسة المعجم الشعري لدى صلاح عبد الصبور من خلال هذا المصطلح الذي يستند إلى نظرية الحقول الدلالية .

ويفترض هذا المصطلح أن كل نص يدور في مجموعة من الدوائر الدلالية وقد تهيمن دائرة ما على العمل الأدبي فيسمى فايز الداية ذلك بؤرة دلالية، وقد تغطي جانبا منه في شكل مقطع دلالي، وقد ترد في لمحة خاطفة فهي ومضة دلالية .

وتستند الدوائر إلى الحقول الدلالية إلى الحقول الدلالية على المعجم اللغوي (أسماء - أفعال - صفات) وتنقسم إلى أقسام وفروع وتدور العلاقات داخل الحقل المعجمي الواحد في إطار الترادف والاشتمال وعلاقة الجزء من الكل والتضاد والتنافر.